منهجية علمية صحيحة = بحث علمي ناجح

الدكتور: لعلـــى سعـــادة
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر– بسكرة

مقدمـــــــة:

تعدّ المنهجية الإطار العام الذي يحتضن البحث، ويوجهه الوجهة التي يسلكها من البداية إلى النهاية؛ ذلك أن البحث، في الحقيقة، منهجية. والبحث الذي تعوزه المنهجية الصحيحة يعدّ ناقصا. وتشمل المنهجية عدة جوانب يراعيها الباحث حتى يخرج عمله مرتبا ومتناسقا ومقبولا. وهذا ما يؤكده كل الباحثين والدارسين الذين يشتغلون في حقل البحث العلمي.

مفهوم المنهجية/ المنهج:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (نهج): طريقٌ نهْجٌ: بيّنٌ واضحٌ، وهو النهجُ؛ قال أبو كبير: فأجزْتُه بأقلَّ تحسَبُ أثْرَهُ نَهْجًا... والجمع نهْجاتٌ ونُهُجٌ ونُهوجٌ...ومنهج الطريق: والمنهاج: كالمنهج. وفي التنزيل: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ المائدة: 48. لذا يقال إن طرق البحث مرادف لــ" مناهج البحث". إن ترجمة كلمة" منهج" باللغة الإنجليزية(Aproach) ترجع إلى أصل يوناني، وتعني البحث أو النظر أو المعرفة، والمعنى الاشتقاقي لها يدل على الطريقة أو المنهج الذي يؤدي إلى الغرض المطلوب.

ويعرف العلماء" المنهج" بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون.

https://www.marefa.org/%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC_%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A

المنهج بين الفرض والاختيار:

يتساءل كثير من الدارسين هل يختار الباحث المنهج الذي يعتمده ويطبقه، أم أن المنهج هو الذي يفرض نفسه على الباحث؟ يرى كثير من الباحثين أن المنهج يتحدد حسب موضوع البحث؛ فإذا كان الموضوع تاريخيا فإن المنهج المعتمد هو المنهج التاريخي، وإذا كان متعلقا بالجوانب النفسية في النص فإن المنهج المعتمد هو المنهج النفسي...

ولعل السؤال الأكثر إلحاحا هو: هل يمكن أن يمزج الدارس بين منهجين أو أكثر؟ وفي هذا الصدد يرى العديد من المختصين في مجال البحث العلمي والأكاديمي أنه يمكن للباحث أن يعتمد أكثر من منهج في دراسته إذا كان الموضوع يقتضي ذلك؛ فعلى سبيل المثال يمكن المزج بين المنهج الوصفي والمنهج النفسي والتاريخي.

صعوبات تطبيق المنهج:

يعاني كثير من الطلبة من صعوبة تحديد منهج البحث بدقة، لقلة تجربتهم في مجال البحث، ولعدم تمكّنهم من المناهج المختلفة للبحث، ولذلك فإن كثيرا من الانتقادات والملاحظات التي تُوجّه للطلبة في المناقشات العلمية تشمل جانب المنهج. ولتطبيق المنهج يستدعي الأمر التحكم في آلياته من أجل تطبيقه تطبيقا صحيحا، وهذا ما يميز الباحث العلمي الذي يتميز بامتلاك الدقة والحصافة الفكرية؛ إذ إن "أسلوب التفكير العلمي هو الذي يميز الباحث العلمي، ويمكنه من اختيار المنهج بدقّة ليضمن النتائج الواضحة لبحثه بعد التحقق من صحتها. وهذا ما يسمى بخطوات الأسلوب العلمي في التفكير. ويبقى الأسلوب الفكري هو الذي ينظم أي منهج بحثي.

يقول أحد الدارسين في هذا الشأن:" يحدد المنهج حسب طبيعة الموضوع/ البحث أو الدراسة وأهدافا التي تم تحديدها سابقا، ويمكن القول أنها تخضع – كما أشرنا سابقا إلى ظروف خارجية أكثر منها إرادية، ومن هذا المنطلق، يكون هناك اتجاهان للمناهج من حيث اختلاف الهدف، إحدهما يكشف عن الحقيقة ويسمى منهج التحليل أو الاختراع، والثاني يسمى منهج التصنيف. كما يقر البعض أن المنهج الأكثر استخداما هو المنهج الذي

يقوم على تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف يغلب عليه صفة التحديد، ويعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها واستخلاص دلالتها. كما أنه يتجه إلى الوصف الكمي أو الكيفي للظواهر المختلفة بالصورة الحقيقية في المجتمع للتعرف على تركيبها وخصائصها. والواقع أن تصنيف المناهج يعتمد عادة على معيار ما حتى يتفادى الخلط والتشويش، وتختلف التقسيمات بين المصنفين لأي موضوع، وتتنوع التصنيفات للموضوع الواحد، وينطبق ذلك على مناهج البحث."()

خاتمـــــــــة:

يبقى موضوع المنهج والمنهجية مفتوحا لجهود الدارسين والباحثين من تنوير دروب الطلبة الباحثين، وإرشادهم وتوجيههم لإزالة الحيرة والاضطراب من أذهانهم ساعة الإقدام على تطبيق منهج معيّن أثناء الدراسة. والخلاصة هي: منهج علمي صحيح يضمن بحثا ناجحا.

ولعلنا نعود للموضوع لإثرائه وتوسعته. وشكرا لكم.

(للورقة البحثية المختصرة هذه مراجع).

مراجع الدراسة:

1. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة 1963.

2. أحمد شبلي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة: دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة..

3. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الرابعة، 1978.

4. أحمد جمال الدين ظاهر ومحمد أحمد زيادة، البحث العلمي الحديث، دار الشروق، جدة، المملكة السعودية، 1979.

5. محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث العلمي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1963.

6. رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي ــ أساسياته النظرية وممارساته العملية، دار الفكر، دمشق 2005.

7. غازي حسين عناية، مناهج البحث، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية 1983.

8. بيفردج و و.أ. ب، فن البحث العلمي، ترجمة زكريا فهمي، دار النهضة العربية، القاهرة 1963.